

## لقاء القمة..!!

أظن أن هذا اللقاء على مستوى القمة بين مصر والاتحاد السوفييتى والذي جرى في ٣٠ يونيو سنة (١٩٧٠) هو واحد من أهم اللقاءات في تاريخ العلاقات العربية السوفييتية لأن هذا الاجتماع جاء في لحظة شديدة التوتر وشديدة الحرج ومفعمة ومثقلة بالاحتمالات في ذلك الوقت. وكانت الأزمة في الشرق الأوسط وصلت إلى الذروة بمعنى أنها وصلت لمرحلة أصبحت تؤثر على الموازين بين القوتين العظميتين.. وتأثرت أيضاً موازين القوى في البحر الأبيض بعد قيام الثورة الليبية وما ترتب عليها وما تداعى منها.. الشيء الآخر أنه تم طرح مبادرة (روجرز) في هذه الفترة أيضاً ورفضت مصر ما قدم في ديسمبر (١٩٦٩) لكنها أبدت اتجاهها لقبول المبادرة التي جاءت في ذلك الوقت..

وكانت المشكلة أنها مبادرة أمريكية في حين أن مشروع (روجرز) الأول كان نتيجة لاتصالات سوفيتية أمريكية في فترة كنا تركنا فيها الاتصالات للاتحاد السوفيتي لكي يتأكد أنه ليس هناك شيء يسمى الحل السلمي.. وجاءت بعد ذلك مبادرة (روجرز) وبدا أننا يمكن أن نقبلها أو على وشك القبول.

والأهم في اعتقادي أن عملية التصعيد على الجبهة قد بلغت درجة نطمئن عليها بمعنى أنه في مساء اليوم السابق بالضبط قد دخلت صواريخ (سام ٣) إلى الجبهة واحتلت أجزاء من حائط الصواريخ وبدأت تمارس عملها وحين جاء الإسرائيليون للاستكشاف أسقطت عدد من طائرات الفانتوم.. ما بين ٦ و ٨ طائرات.

وكان الذهاب إلى موسكو في تلك الليلة وبدء الاجتماعات في مناخ يعطى للزيارة أهمية مختلفة.. وكان هناك إحساس لكل الأطراف أن هذا هو اللقاء الأخير بين القيادة المصرية والقيادة السوفيتية قبل شيء كبير سيجرى على جبهة القتال وكل الأشياء تشير إليه.. وأنه سيمر وقت طويل للالتقاء مرة أخرى.. لأنه سيكون كل شخص في مشاغله.

وكان الاستعداد للاجتماع.. وضعنا تصورنا لما ستجرى عليه المحادثات والتصور جرى بعد مناقشات وكتبت التصور بخط يدي.. ولكن كان هناك - خارج ما تقتضيه المفاوضات - نوعان من المسائل. فنحن نعرف أن هناك مشاكل عالقة تؤثر على تصرفات القادة السوفيت حتى وإن لم يفصحوا عنها بوضوح.. فالمشاكل عالقة وهناك أسباب للالتباس ولسوء الفهم.

الشيء الآخر أنه نتيجة لعمليات الاستعداد على الجبهة والإدراك بعد مؤتمر طرابلس أن مصر ستدخل المعركة وحدها في البداية وأنها سوف تكون على الجبهة المصرية.. وقد تكون لهذا تداعيات على جبهات أخرى.. ولكن التخطيط يقتضى أن تكون مصر مستعدة لمعركة كبرى.. وحتى لو أدى الأمر أنها فيها وحدها وعليها إدراك ذلك منذ اللحظة الأولى.

فإذا لم تكن هناك عمليات في سوريا أو في غيرها على الجبهة الشرقية فمعنى هذا أن كامل قوة الطيران الإسرائيلي سوف تكون فاعلة فوق الجسور.. وفي ذلك الوقت كنا جاهزين تقريباً بتسعة جسور وهناك خمسة تصنع في المصانع الحربية.. لكن

هناك رغبة في الحصول على جسور جاهزة التصنيع لكي تستطيع أن تكون في الخدمة.. لأن التركيز على الجسور سيكون كبيراً.

وأصبح هناك نوعان من القضايا.. مشاكل عالقة وطلبات ملحة.. وهناك ثلاثة موضوعات في جدول الأعمال.. وهناك موضوعات سياسية أصلية وهى موضوعات المحادثات وموضوعات عالقة لأسباب سوء الفهم وموضوعات بها طلبات.

أول ما دخلنا للغرفة المجاورة لقاعة الاجتماعات قال الرئيس (عبد الناصر) - قبل أن يقدم الوفد المصرى حينما رأى (برجنيف) إن هناك أخباراً مهمة على الجبهة المصرية.. وهناك طائرات كثيرة تقع وقال (برجنيف) زعيم الحزب الشيوعى يبدو أن الحرب الحقيقية لم تبدأ إلا بعد سفر الفريق فوزى من مصر.. فقال الرئيس (عبد الناصر) أبقه هنا لكي تستمر الحرب.. وبعد ذلك قدم الرئيس (عبد الناصر) الوفد وجاء بعد ذلك دورى وقال (جروميكو) وزير الخارجية السوفيتى جيد أن يكون (هيكل) موجوداً معنا على مائدة الاجتماع كوزير مسئول بحيث لا يستطيع الكتابة كما يريد.. ويقول إنه صحفي حر فيما يكتبه.. ونحن سوف نراقبه وأى شيء سيكتبه سنحاسبه عليه.. وكان (على صبرى) موجوداً وقال إن الحزب الاشتراكى سيراقبه.. فقلت لـ(عبد الناصر) هذا ما أخذته من الوزارة أن أراقب من جهتين.

ودخلنا لقاعة الاجتماعات وبدأت المناقشة وكان ما يضايق (عبد الناصر) أن ينتظر ليسأله الطرف الآخر لما يريد أن يسأل فيه.. وكان دائماً يبدأ الكلام ويطرح ما قد يسأل فيه ويتصور أن هذا يحزره من وضع سائل ومسئول.

وقال (برجنيف) بعد ترحيب أن أمامه جدول أعمال مهم وأمامنا قضايا قد ترغب الوفود في إثارتها ونريد التحدث في هذه المرة بصراحة.. وقال (عبد الناصر) له إنه سبقه لما يريد أن يقوله.. إننا هذه المرة نريد التحدث بصراحة لأننا مقبلون على أوقات وظروف.. وعلى قرارات لا يجدى فيها إلا أن يكون كل طرف على علم وبينه كاملة بما يفكر فيه الطرف الآخر.

وأنا هنا أعتد على ما كتبته.. وأسجل كل دخول وخروج في القاعة وكل ورقة إلى درجة أننى أخذت من المارشىال جريتشكوف ورقة كان يرسم فيها.. لأننى كنت حريصاً بشكل أو بآخر ولازلت أنه لا بد أن تكون السجلات كاملة.

وبدا (جمال عبد الناصر) في هذه الجلسة بالتحدث وقال إننا نعلم أن لكم عتابا علينا لأننا نصحنا لليبيا بأن تشتري طائرة ميراج فرنسية ولا تشتري الطائرات الميغ.. لذلك أريد التحدث في ذلك مباشرة لأوضح لماذا اتصلنا بالليبيين.. وجعلت (هيكل) يذهب لـ (القذافي) وكان رأينا أن يشتروا ميراج بدلا من الميغ وأنا أقولها بوضوح إننا نريد الليبيين أن يشتروا الميغ.. ولكن بوضوح ما يقودنا هو الكفاءة العسكرية فوق ميدان القتال.. وطائراتكم مهمة للغاية ونحن نعتمد عليها بكل أنواعها ولكن نحن نلج باستمرار لقاذفة وأنتم لا تملكون قاذفة.. فضلا عن ذلك كنا نحتاج مدى للطائرات.. وقمنا بتجربة وكان معنا فيها خبراءكم ومساعدو الجنرال كتشتكن كبير الخبراء.. لمعرفة كم طائرة ستبقى بعد عبور قناة السويس في الشرق.. فأقلمت طائرة من الجبهة وعبرت فوق قناة السويس وعبرت سيناء في اتجاه قناة السويس.. فكم تستطيع أن تبقى فوق الأهداف واكتشفنا ووجدنا وتبيننا أن الميغ تستطيع أن تبقى في الشرق ٢٥ دقيقة وأن الميراج تستطيع أن تبقى في الشرق ساعة كاملة.. وأن الفانتوم طبقاً لحساباتنا تستطيع أن تبقى ما هو أكثر من ساعة ولذلك فنحن سواء بسبب قدرة الميراج كقاذفة.

وسواء بالنسبة للمدى الذي نريده خاصة ونحن ندخل في معركة.. جزء منها هجومي.. ولهذه الأسباب ولأنه موضوع عسكري بحت.. قررنا نصح الليبيين وطلبوا رأينا وقلنا إن يذهبوا للميراج.. وأنا أقولها بصراحة إن هذا لا يعنى عرقلة صفقاتكم ولا يعنى أننا نسيئ لسمعة سلاحكم فنحن نرعى سلاحكم حينما نربط أبناءنا للقتال به.

وأنا أعرف أنكم تضايقتم بسبب ما جرى في السودان.. وهنا نظر (عبد الناصر) لبنيماريوف لأننا لما دخلنا قاعة الاجتماعات بدت وجوه أخرى جديدة ولم يكن فقط (برجنيف) قائد الدولة.. و(كسيجين) رئيس الوزراء.. و(جروميكو) وزير الخارجية.. و(جرتشكو) وزير الدفاع.

لكن لاحظنا أيضاً أن (برمانيوف) موجود وهو المسئول العقائدي في لجنة الرئاسة.. وقال (عبد الناصر) إنه يعلم أنكم تضايقتم.. بعد ما حدث في السودان أحداث جزيرة آبا.. تصور الشيوعيون وهو حزب قوى وشرعى في السودان برئاسة عبد الخالق محجوب.. وتصور بعضهم أن ما جرى في (جزيرة آبا) من تصفية للمهدية أنها فرصة لهدم الشيوعية.. ونصحنا (النميري) أنها ليست فرصة لاستقطاب السودان.. وأن هذا وقت

وحدة وطنية في السودان وعلى كل راغبي الاستقطاب.. أن يبتعدوا وكان (النميري) يشتكى نشاطاً كبيراً قوياً لديه ونحن طلبنا منه أن يرسل لنا الطرفين في القاهرة.. (عبدالخالق محجوب) والصادق المهدي).. للقاهرة ونحن نتفاهم معهما.

وحينما ذهب (عبدالخالق محجوب) لمكتب (سامي شرف) قالوا له أنت في القاهرة لتخفيف التوتر في السودان ولست معتقلاً ولا مُبعداً وأنت في أي وقت تريد السفر لأوروبا الشرقية نحن سنرتب ذلك لكن لا داعي في السودان في هذا الوقت.. وقلنا لـ (الصادق المهدي) إن القاهرة ليست منفي لأحد وإنما هي مضيعة وإذا أردت أن تظل بعيداً عن السودان في اللحظة الحالية.. وإذا أردت أن تذهب لأوروبا فاختر أي مكان لك ولأسرتك.. لكن رأينا أن هذا هو الوضع الأسلم لتهيئة الظروف في السودان بعد ما جرى في جزيرة أبا.. وهذا ليس وقت استقطاب في السودان ونحن نعرف أنه أغضبكم أن أرسلنا لعبدالخالق محجوب ثم تركناه ليسافر لأوروبا الشرقية إذا أراد والموقف السوداني لا يحتمل حرباً أهلية والأجواء متوترة.. وأعرف بتأثركم.

وأنا أعلم بشكل أو بآخر أن هناك من غضب حينما سألتني جنرال كتشجن في آخر مرة كنت فيها هنا عما إذا كان الخبراء السوفييت يرتدون بدلا عسكرية في أثناء وجودهم في مصر وأنا رفضت وأنا أعرف أن الضباط الموجودين في الخدمة ونقدر خدماتهم يشعرون كما لو كانوا مرتزقة لأنهم يضطرون أن يرتدوا مثل العمال ويشعرون مع غياب زيهم ورتبهم العسكرية أنهم ليسوا جنودا.. وأن هذا يقلقهم ويجرح كباراء العسكري الروسي.. وأريد أن أقول بوضوح أننا من أكثر الناس الحريصين على كباراء أي عسكري روسي.. والعسكرية الروسية بالنسبة لنا نحترمها جداً.. وإذا نحن لا نستطيع أن نقبله لأسباب نفسية.. وهناك مسألة أخرى هي لو ارتدى هؤلاء الخبراء ملابس عسكرية وهم يؤدون مهاماً كأن هذا قتال رسمي للقوات السوفييتية ونحن لا نريد أن نعرضكم لهذا ونريد أن يكون الضباط خبراء أكثر للمقاتلين.. ولا أريد خبيراً يرتدى زيه العسكري لكن خبيراً عقله جاهز.

الشيء الآخر أنني أعلم أنكم متضايقون من بعض ما يجري في ليبيا ومن كلام قاله (القذافي) لأنه نقل إليهم تصريحات لـ (القذافي) وتصريحاته عادة بعضها جامع وبعضها أصبحت جزءاً من شخصيته يقوم بهذا الدور ولا أتحمس لهذا الجزء وليس لدى اعتراض في نفس الوقت.. ولكن وقتها قال (القذافي) إنه لا فرق بين (كيسنجر) و(كوسيجن)..

والإثنان مثل بعضهما.. والتصرفات مثل بعض.. وحاول (كوسجين) أن يحسب دخل الليبيين لأن كم البترول الموجود بهذه الثروة على البحر الأبيض مستولى على خيال (كوسجين) وغيره.. وقال إن هناك برجوازية تعمل.. فقال (عبد الناصر) أرجوك ألا تُطبق على ليبيا.. ولا (القذافي).. ولا تقول طبقة برجوازية فالمجتمع هناك مازال قليلاً.. وأنت تتحدث عن بلد به مليوناً نسمة.. وهو بلد يخرج للعصر الحديث لأول مرة.. وروابطه القبلية موجودة.. ولا تضعوه ولا تصنفوه طبقياً بهذه الطريقة.. وأرجوك أن تعرف أن هؤلاء الشباب سنهم ما بين ٢٥ : ٣٥ تقريباً.. وهم القادمون.. وقاموا بثورة قد تكون مستحيلة نظرياً.. وهم أنفسهم كانوا يقولون إن نسبة النجاح فيها واحد في المليون ونجحت.. وأدى هذا النجاح لتغييرات كبيرة لكن أرجوك أن تعرف أن الشباب القائمين بها يحتاجون لوقت كبير للتعلم وأظنهم سيتعلمون ولا بد أن نعطيهم الوقت.

وكانت قاذفتنا وجزء منها موجودة في المطارات الليبية في مأمّن لأنه جزء مهم جداً ونحن حريصون عليه.. ونحن متصورون أنكم لا تأخذون ما على السطح بهذه الطريقة.. أما عن من يهاجمونكم في مصر فهم أيضاً يهاجموننا والمجتمع المصري مجتمع مختلف فالترابط العائلي فيه لا يزال الجزء المؤثر والفاعل ولكن هناك طبقات انطبقت عليها قوانين الاشتراكية ولا نستطيع إلا أن نفهم موقفها ولا بد أن نفهم موقفها.. فلما يجلسون معنا أو يهاجموننا هذا طبيعي وهذا حقهم.. ولا أستطيع أن أخذ كل شخص يهاجم النظام أو يهاجمكم لأننا أخذنا شيئاً من أملاكه فلا أستطيع أن أضعه في السجن ولا بد أن نقبل قدراً كبيراً جداً من النقد وأن هذا النقد ممكن أن يكون موجهاً لكم.. لكن أرجوكم أن تفهموا أن هذا النقد موجه بالدرجة الأولى للنظام وعلينا أن نقبله.

وحدث في هذه اللحظة شيء يمسنى مباشرة.. فأثناء حديث (عبد الناصر) كنت مستغرقاً في كتابه بحيث لا يفوتني شيء.. وفجأة وجدت (برجنيف) يذكر اسمي وكان بجوارى السفير مراد غالب وكان يكتب المحضر الرسمي للجلسة وأنا كنت أكتب الملاحظات وأرى ما الذي يجري وما الذي يحدث.. بما فيها واقعة أعتقد أنها مهمة.. منها ورقة من (برجنيف) أعطاهها لمدجرتى وبعدما قرأها أعطاهها لجراشكوف.. وبعد ذلك يأتي شخص من الخارج لـ (برجنيف) وطلب (برجنيف) قلماً أحمر ووقع على هذه الورقة.. وكل هذا أوقف الجلسة لثوان.. فشعروا أننا نحتاج لإيضاح.. فقالوا إنه

جاءت لهم معلومات أن هناك محاولة انقلاب في الصومال وأنا اتفقنا على إرسال رسالة تحذير للرئيس الصومالي.

وبعد ذلك ذكر (برجنيف) اسمى فسألت مراد غالب عما يقوله.. فرد مترجم سرجهي أننا نطلب منهم أن يتغاضوا عن بعض ما يحدث للخبراء وألا يرتدوا زيهم الرسمي.. وأن الشعب المصري لا يبدو أنه يريد خبراء من عندنا.. فقال (جمال عبد الناصر) من أين تقول إن الشعب المصري لا يريد خبراء من عندكم.. فقال له إننا سمعنا أن الخبراء يتدخلون في شئونكم.. فرد (عبد الناصر) أنهم إذا تدخلوا من خارج الوظيفة فسأكون أول واحد يطلب وضعهم على مركب في إسكندرية ويأتون لكم على ميناء أوديسا. ولم يعجب (برجنيف) رد (عبد الناصر).. وقال إن (هيكل) يعرف ولديه معلومات لدى وزارته أن الخبراء السوفييت مكروهون في مصر.. والمصريون لا يريدونهم.. فتدخلت في الكلام وقلت له السيد الرئيس يقول هذا الكلام على أي أساس.. فقال: أنت في وزارتك قمت باستقصاء لكى تعرف مدى قبول الشعب المصري للخبراء السوفييت وتوصلتم إلى تقرير رسمى كتبته أن الشعب المصري يرفض وجودهم.. فنظر لى الرئيس (عبد الناصر) وسألنى عن حقيقة هذا الكلام فقلت له لا أساس له من الصحة وقلت لـ(برجنيف) ذلك وقلت له ليس هناك فيما أعلم أى شيء ومع ذلك فبعد الجلسة سوف أتقصى ما إذا كان هذا الكلام له أساس.. وأنا أؤكد لك أن هذا الكلام صعب جداً.

واستمرت الجلسة وجدول الأعمال بعد ذلك والكلام الذي به حساسيات تقريباً قد انتهى وأعطى الرئيس الكلمة لـ(محمود رياض) وزير الخارجية.. بعد جزء المصارحة والذي كانوا يستمعون إليه باهتمام وربما أدهشهم أن كل المسائل التي ربما تجول في أذهانهم وتخلق بعض الشكوك أنها طرحت بهذه الطريقة في نفس اللحظة والكلام كان فيها.. وكانت معظم الأسئلة التي سألوها غريبة نتيجة اهتمامهم بليبيا في ذلك الوقت.. وتحدث (عبد الناصر) عن المزايدات التي حدثت في مؤتمر طرابلس وقال إنه لا يوجد ما يسمى بإزالة آثار العدوان ولكن هناك ما يسمى بتحرير الأرض كاملة سواء في (٦٧) أو (٤٨) وتدمير إسرائيل.. وكان يرى (عبد الناصر) أن هذا الكلام صعب وأنه يريد فقط كسر عمود خرسانة رئيس في هذا البناء الإسرائيلي وسوف يقع.. وأن

المواجهه الكامله إذا كان الهدف منها إزالة إسرائيل فنحن نتحدث عما ليس لنا قبل به في هذه المرحلة.

وقال (عبد الناصر) إنه يقبل مبادرة (روجرز) لأن عليها بالتحديد علم أمريكي.. لأن العلاقات بين أمريكا وإسرائيل في هذه اللحظة وفي هذا التوتر العالمي تعطى فرصة لعمل.. والدليل على هذا أن الوزارة الائتلافية في إسرائيل على وشك أن تتكسر وهنا مناخ يدعونا إلى قبول مخاطرة من أي نوع وعلى أي حال فهي جزء مما يمكن أن نتصرف في إطاره وتحتة.. إلى ما هو أبعد منه وأوسع.. وكان في ذهنه العمل العسكري القادم بعد أن صدق على عملية الجرائيت قبل سفره لموسكو.

وانتهى (عبد الناصر) من الموقف السياسي.. وكان السوفييت مذهولين أنه على الجبهة المصرية سقطت ٨ طائرات فانتوم في نفس يوم حضورنا لموسكو.. وأنه وقت وصولنا أرسل الفريق صادق للفريق فوزى يقول له فيها إن الطيارين تم أسرهم جميعاً فيما عدا واحد قتل.

وكان ظاهراً أن الموقف العسكري به قدرات جديدة وأن الصواريخ الجديدة توحى بأن هناك شيئاً جارياً.. أما موضوع جسور العبور فقد استغرق وقتاً طويلاً وهو الأمر الذي دعا إلى كلام على الجبهة الشرقية.. وقال (برجنيف) إنه أولى بدلاً من أن تطلبوا جسور عبور أكثر لأنكم تتوقعون تركيزاً في الطيران الإسرائيلي أكثر عندكم إذا كنتم منفردين بالعمل.. فيبقى العمل من سوريا.

وكانت وجهة نظر (عبد الناصر) أنه من سوء الحظ أنه يوجد خلافات سياسية بين الأحزاب والخلافات في العالم العربي لم تعد بين تقليدي وجديد.. لكن هناك تقليدياً مرتكزا على أفكار تقليدية لكن هناك إسلامياً مرتكزا على فكرة الدين.. لكن في الجديد.. هناك بعثيون وشيوعيون وقوميون ومستقلون.

وكان (عبد الناصر) يقول إن الظرف السياسي قد لا يسمح باتفاق مسبق على خطط محددة لكنه يعتقد أنه إذا بدأت الجبهة المصرية تزيد ضغوطاً شديدة جداً على الأنظمة بما يجعلها قادرة على الانخراط بشكل ما في مرحلة من مراحل الصراع المسلح القادم.. لكن هو على أي حال جرب بقدر ما يستطيع أن تكون هناك خطط كاملة متسقة ومتناسقة.. وكان لسوء الحظ لكى يتفق على خطة أن ينتظر شيئاً أن (جمال عبد الناصر) بكل الجو الأسطوري الذي حوله أن يبتعد ويختفي وأن يأتي أحد آخر

يمكن أسهل أن يطمئن أطراف وحلفاء آخرين من العالم العربي لأنهم يتعاملون مع بشر عاديين وليس مع أساطير يخافون أن يتلعمهم أضواؤها ومجدها إلى آخره.

وكان الذي فتح الموضوع مع السوفييت هو جسر العبور. وبدأ الفريق فوزى يحاول يشرح وكان الفريق فوزى لديه مشكلة لأنه كان يريد التخلص من كبير المستشارين الذي كان عنده وهو (كتشكن).. وجاء لى جواب بعد أن غادرت لأننى لم أكمل المحادثات وظلوا ١٥ يوماً وكان (عبد الناصر) يكمل الاستشفاء.. ووجدت فوزى يتحدث عن أنه يريد أن يتخلص من (كتشكن) "البايخ".. وبدت لى هذه الكلمة غريبة من القائد العام للقوات المسلحة.. وتحدث فوزى عن الطلبات وكان في ذلك الوقت تأتى لنا تقارير كثيرة جداً من الضباط من موسكو الذين يدرسون وجاءت تقارير عن صاروخ (سام ٦) فبعضهم قرأ عنه وبعضهم سمع عنه وكانوا مبهورين بـ (سام ٦) فهو قادر على الطيران المنخفض وميزته أنه متحرك ومركب على مدرعات وهو قادر على أن يطلق نيرانه وهو يتحرك.

وكان رأى العسكريين المصريين أن حائط الصواريخ سيكون ثابتاً سواء (سام ٢) الذي كان موجوداً في الأول أو (سام ٣).. وكانوا يتصورون أن حائط الصواريخ الثابت يخدمه جداً أن يكون أمامه مدد أو طلائع من سام (٦) المتحرك خاصةً حينما تعبر القوات من الناحية الأخرى وتواجه طيراناً قريباً منها قد لا يطوله الطيران المنخفض الموجود في الخلف.. والاعتماد على الصواريخ المحمولة باليد وشباب المؤهلات الذين كانوا رائعين.

وانتهت الجلسة الأولى ولكن كانت هناك مسألة معلقة علىّ أنا بالذات أول لما انتهت الجلسة اجتمع الرئيس و(على صبرى) و(محمود رياض) وأنا.. وكان الفريق فوزى مشغولاً مع جرتشكوف وبعد ذلك قال لى الرئيس: ما موضوع الخبراء.. فقلت له: أنا سأخرج حالياً لأتصل بمكتبى وفي الفترة اتصلت بالدكتور (عبد الملك عودة) وكان مدير مكتبى في الأهرام وكان معى في وزارة الإرشاد القومى في ذلك الوقت.. وقلت له أريد تحقيقاً عن هذا الموضوع.. وقال لى عبد الملك إنه ليس لديه أى علم بأى شيء من هذا النوع.. وقال لى إنه سيتحقق ويتصل بى.

وأنا داخل في الجلسة وجدت (جريتشكوف) يقول لى إنه يريد أخذ الورقة التى كان يرسم فيها.. فقال لى يبدو أنك لديك مشكلة فقلت له إن مشكلتى سأحلها لكن

مشكلتك تحتاج لطبيب نفسى لأننى أريد الخبراء النفسيين أن يعرفوا فيم كنت تفكر؟.. فقال له (برجنيف): إن (هيكل) لا يريد أن ينسى أنه صحفي فسألنى (برجنيف) ألا تريد أن تتسى أنك صحفي فقلت له لا أريد أن أتذكر إلا أننى صحفي.



## طلبات موسكو

كانت اجتماعات القمة التى عقدت في موسكو ٣٠ يونيو سنة (١٩٧٠) بين (عبد الناصر) والسوفييت واحدة من أهم الاجتماعات في تاريخ العلاقات المصرية السوفييتية ذلك لأنها جاءت في مرحلة يتوجب فيها تدعيم علاقات كانت على وشك أن تدخل اختبارات بالنيران.. في ظروف حرب لا أحد يعلم متى ستبدأ بالتحديد. لكن (عبد الناصر) كان قد وقع خطة العمليات "جرانيت واحد" قبل سفره إلى موسكو.

وكانت الطلبات في موسكو كثيرة.. وذات طبيعة خاصة لأنها كلها كانت تتصل بالطيران وبالمدافع الجوية والحرب الإلكترونية وبالتشويش وبكسر الشفرات.. ويكفي أن أقول إنه مع نهاية هذه الاجتماعات كان حجم ما تم الاتفاق عليه يساوى ٦٦٠ مليون روبيل أى ٦٦٠ مليون دولار وبأسعار اليوم تقريباً كانت تصل هذه الصفقة في حدود ٣ بلايين دولار كلها دفعناها ببضائع مصرية ليس بينها القطن وجزء كبير جداً لم ندفعه وأعطينا منه في ظروف لاحقة.

وكان التوقيت الذي تجرى فيه الاجتماعات منتهى الأهمية والظروف في منتهى الحساسية والنتائج.. التى ترتبت عليها عمليا وسياسيا كان لابد من التأكد باستمرار أنها في طريق محدد ومتفق عليه وواضح لأنه في ظروف معركة قادمة يعد لها لا تحتمل أى خلافات.

في الجلسة الأولى أثار (برجنيف) المشكلة.. التى أشرت إليها في الحلقة السابقة.. والتي تعلقتم بوزارة الإرشاد.. وكنتُ وزيراً لها في ذلك الوقت.. وكنا اتفقنا في البداية على أن يكون العمل ليوم واحد في جلستين: صباحية مساءية.. على أن يذهب (عبد الناصر) اليوم التالى ليجرى فحوصات طبية في مصحة دال بيقة.. وكان الرئيس (برجنيف) نفسه في إجازة صحية.. وهم عادة يقضون إجازاتهم في مصحات.. وجاء

لمباحثات موسكو واتفق على أن يكون يوم ٣٠ يونيو يوم عمل مكثفا.. على أن يذهب كل شخص في اليوم التالي للمصحة التي سيذهب لها.

أهمية الموضوعات المطروحة جعلت العمل في ذلك اليوم متعبا للغاية.. وكانت المشكلة الأكبر بالنسبة لـ(برجنيف) حينما أثار موضوع وزارة الإرشاد.. وقال لـ(عبد الناصر): كيف تطلبون خبراء ونحن نعلم أن الشعب المصرى قد لا يكون مؤيدا لهذا؟ ثم أشار باتجاهى وهو يقول: إن السيد (هيكل) يعرف ذلك .

ولما استوضحنى الرئيس (عبد الناصر) حول الموضوع قال (برجنيف) إن وزارة الإرشاد القومى أجرت استفتاء على شريحة كبيرة من الرأى العام المصرى.. أظهر أن ٧٥٪ من المثقفين لا يريدون الخبراء الروس. وسألنى (عبد الناصر) حول حقيقة هذا الموضوع.. فاستأذنت لأتصل بمكتبى في القاهرة وأفهم منهم.

كنت أشعر بحساسية المفاوضات في هذه اللحظة.. فنحن نطلب خبراء ونطلب زيادة التسليح.. ونحن مقبلون على معركة أنا أعلم أن قرار بشأن عملية جرانيت واحد تم توقيعه. خرجت من قاعة الاجتماعات لمكتب ملاصق.. واتصلت بصديقى.. والقائم على أعمال مكتبى في نفس الوقت.. الدكتور (عبدالمك عوده) ( وسألته عن الموضوع.. كان يبدو مندهشا.. وقال لى إنه سيتقصى ويعاود الاتصال.. ونظراً لسخونة الموضوع لم نتفق كيف سيحدثنى مرة أخرى.

بعد الانتهاء من الجلسة جاءت لى ورقة من السفارة المصرية في موسكو بأن مكتبى في القاهرة سأل عنى.. وأنهم سيعاودون الاتصال في الثانية والنصف.. فقلت لـ(عبد الناصر) إننى سأذهب للسفارة وأتصل بمكتبى وإنهم سيبلغونى بنتيجة شيء ما.. وبالفعل دخلت السفارة قبل الموعد ووجدت الدكتور (عبدالمك عوده) ( يحدثنى.

الموضوع كان غريباً للغاية.. لأننى كنت أحاول أعيد تنظيم وزارة الإرشاد القومى وكان رأى يتجه لحلها.. لأنها بلا معنى.. وأن تتحول الإذاعة والتلفزيون لمؤسسة مستقلة مثل نظام الـ (B.B.C) وتكون تابعة لمجلس الأمة.. وتقدم تقريرها السنوى إليه.. واخترت الدكتور مصطفى خليل ليكون مسئولاً عنها.

وكنت أرى أن مصلحة الاستعلامات لا لزوم لها.. فيكفى أن أقول إنه كانت هناك مكاتب لمصلحة الاستعلامات في الخارج ومكاتب أخرى لووكالة أنباء الشرق الأوسط ومكاتب صحفية ثالثة في السفارات. ومعنى ذلك أنه كانت هناك ثلاثة تقارير يومية

تستقى أخبارها من مصدر واحد: هو الصحف.. أى أنها تكرر نفسها.. وكنت أعتقد أن هذا إهدار للموارد.. بالإضافة إلى أن مكاتب الاستعلامات في الداخل مشغولة بتقديم تقارير للوزارة عن اتجاهات الرأي العام يومياً.. وأعتقد أنه ليس منطقياً ولا معقولاً أن تقاس اتجاهات الرأي العام بشكل يومي.. ولذلك طلبت إنشاء لجنة لتقييم عمل مكاتب الاستعلامات في الداخل.

وحكى لى (عبدالمملك عودة) ( أصل ما تحدث فيه بريجنيف في الكرملين. فما حدث أن اثنين من هيئة المستشارين في مكتبي.. وهما الأستاذ تحسين بشر.. والذي اشتهر فيما بعد كمتحدث رسمي باسم (السادات).. والدكتور عبدالوهاب المسيري.. ذهباً لكفر الزيات.. والتقوا هناك بمدير مكتب الاستعلامات.. وسألوه عن طريقة إعداد تقارير الرأي العام.. فأخبرهم الرجل أن موظفي المكتب يذهبون للمقاهى أو مواقع العمل بشكل عشوائى.. ويتحدثون مع الناس في القضايا المثارة على سطح الأحداث.. وسأله الدكتور المسيري عن طريقة تحديد الموضوعات.. التى يناقشون فيها الناس.. فقال له مدير مكتب الاستعلامات في كفر الزيات أنه يسمع الدعايات المضادة على راديو لندن أو صوت أمريكا.. ومن خلالها يحددون القضايا المثارة.. ويسألون فيها الرأي العام.. إلى جانب بعض المشاكل أو القضايا الداخلية أو توافر الخدمات. وتدخل تحسين بشير في المناقشة - طبقاً لما رواه لى (عبدالمملك عودة) - وسأله عن الموضوعات.. التى يستقصون آراء الناس فيها.. فقال إنهم سألوا في موضوع الخبراء السوفييت بعد أن سمعوا نقاشاً طويلاً على راديو لندن حول الموضوع.. وقال الرجل إنهم وجدوا الناس منقسمين بين الموافقة والرفض.

أنهيت مكالمتى مع (عبدالمملك عودة) .. وطلبت أن أتحدث للدكتور (أسامة الباز) .. ثم تحدثت معه هيئة المستشارين جميعاً.. وأثناء عودتى من السفارة المصرية إلى الكرملين.. وطوال ثلث الساعة كنت أفكر: كيف انتقل هذا الموضوع بهذه السرعة من كفر الزيات إلى الكرملين؟.. لأجده بعد ١٥ يوماً فقط يتفجر كلغم في جلسة محادثات على هذا المستوى.. وعندما عدت وجدت الرئيس (عبد الناصر) يتمشى بين ثلاثة أجراس من الحديد في فناء الكرملين.. صنعها بطرس الأكبر الامبراطور الروسى الشهير.. من مدافع خصومه في معارك مختلفة.. وسألنى عن الموضوع فقلت له كل شيء.

فيما بعد عرفنا أن مدير مكتب الاستعلامات تحدث مع إحدى وحدات الاتحاد الاشتراكي في ذلك الوقت ثم إذا بالموضوع يصل لأحد أعضاء التنظيم وعضو في إحدى النقابات.. ثم وصل إلى مندوب لوكالة أنباء تاس.

جاء ميعاد الاجتماع الثاني الساعة الثالثة والنصف وطلب مني (عبد الناصر) أن أشرح الحكاية.. وحينها تدخل (برجنيف) قبل أن أتحدث وقال إنه اطلع على هذه المعلومة في تقرير ليس للنشر من وكالة تاس.. فشرحت ما حدث في منتهى الهدوء.. فقد بدا لي أن وقت قمة بهذا المستوى لا يمكن أن يضيع في مناقشة أمر بهذا الحجم.. لكن أحيانا تتولد بذور جنينية لقضايا وخلافات قد تكون موجودة بالفعل محليا لكن يتجاوز البعض في طريقة عرضها.. وعلى أي حال شرحت الموضوع.

وقال (برجنيف) إنه يريد لهذه المهمة تنتهي بكل وسيلة.. وأن نحقق ما نريده لأنه يريد أن يخرج رجاله ويبعد عن هذا الموضوع.. ولا يريد أحد أن يتهمهم ب"الاستعمار الروسي". ورد (عبد الناصر) بأنه يعتز بوطنيته.. وقال: أنا لو وجدت شبهة استعمار فيما تقومون به لكنت أول من يتصدى لهذا.. ولا كنت طلبته أو تناقشت فيه.. فقال (برمانيوف) إن المسائل بها التباس لأن الوزير (هيكل) يحب الأمريكان.. فسأله (عبد الناصر): كيف يحب (هيكل) الأمريكان.. فقال المترجم الذي يرد عن (برمانيوف) هو يريد صداقة الأمريكان.. فقال (عبد الناصر) وأنتم تريدون صداقة الأمريكان.

وقال (عبد الناصر): أريد أن أكون واضحاً فأنا لست عدواً للأمريكان ولا (هيكل) عدو للأمريكان ولا أنتم أيضاً.. فيما يتعلق بنا فنحن نقاوم شيئين عند الأمريكان: انحيازهم لإسرائيل.. ورغبتهم في السيطرة.. وهاتان النقطتان هما مبعث الخلاف.. وقال (عبد الناصر) إن حكاية مصادقتي للأمريكان كلام غير معقول .

وحينها بدأ الروس في الاعتذار.. وقال (عبد الناصر): أنكم لا تعرفون المجتمع المصري.. ولا بد أن تفهموا أولاً أن الغرب موجود في المنطقة ميكراً جداً.. فنحن لما بدأنا التعلم في المدارس كانت اللغة الانجليزية هي اللغة الثانية بعد العربية.. وهناك مواد كانت تدرس بالإنجليزية.. ونحن مصادرنا للمعرفة مفتوحة على الغرب أكثر من انفتاحها على أحد آخر.. وأنا حين كنت أدرس أركان حرب كانت تدرس لنا الاستراتيجية باللغة الانجليزية.. وهناك بعض الكليات تدرس موادها بالإنجليزية.. مثل كلية الطب.

وأكمل (عبد الناصر): أرجوكم أن تعرفوا وضع العالم العربي باستمرار لأن العالم العربي هو دائرتنا الكبرى وهو مفتوح ولا ولاية للدولة المصرية عليه ولا تستطيع أن تصله.. ولكن نستطيع أن نصل إليه بالنموذج.. ونصل إليه بالاتصال والخطاب.. ولا بد أن نعطي لكم أهمية كبيرة لأن هذا سيؤدى إلى قدر كبير من الانفتاح مع الزمن.

وأظن أن الأمور وقتها اتضحت وقال (برجنيف) أظن أننا نتفهم هذا الأمر.. ووجهوا لى كلمة رقيقة.. ثم دخلنا في عرض الطلبات.. وكان أصعبها طلب الفريق فوزى نقل كبير الخبراء.. الذي كان يطلق عليه "البايخ".. وقد حاولوا بالتطبيق العملى بالاستجابة للطلبات.. ورتبوا تدريبات عملية للدفاع الجوى.. وطلبوا من الفريق (محمد على فهمى) قائد الدفاع الجوى أن يحضر بعض هذه التدريبات فقد كانوا يعتقدون أننا قد نستفيد منها.. وطلبوا أن يحضر القادة المصريين.. وبالفعل كان هناك قدر من التعاون.

وفي اليوم التالى وقبل رحيلى من موسكو ذهبت لـ(عبد الناصر).. وكان سيذهب إلى بريخا.. وكان (برجنيف) سيذهب لمكان الاستشفاء.. على أن يعودوا للمقابلة بعد عشرة أيام.. وقرر (على صبرى) أن يذهب مع (عبد الناصر) لبريخا لأنه كان لديه مشاكل في القلب ويريد أن يقوم بعملية فحص طبي والفريق فوزى سيظل ليقوم ببعض المحادثات مع القادة السوفييت حول الجانب العسكرى.. ولديه اجتماعات محددة مع جرتيشكوف.. وكان (محمود رياض) لديه ظرف يقتضيه ليعود للقاهرة.. فذهبت لـ(عبد الناصر) في جناحه وتناولت الإفطار معه وقال: لى أرجو ألا تكون متضايقا وقلت له طبيعى إن صحفيا في الوزارة سيقوم بمشكلات.. استأذنته أن أعود للقاهرة.. وهنا جاء الفريق فوزى وطلب منى أن آخذ معى مجموعة ورق أسلمها للفريق صادق.. وكانت عبارة عن مراسلات رأيتها فيما بعد.

#### وكتب الفريق فوزى رسالة للفريق صادق قال فيها:

"عزيزى الأخ صادق أهديك سلامى وأبعث تحياتى لكل أفراد القوات المسلحة بداية الرحلة والمفاوضات مشجعة للغاية.. وقد أنهى الرئيس جمال كلامه عن كل الناحية السياسية والأوضاع في مصر والعالم العربى بصفة خاصة في ليبيا وكان الاهتمام باديا من الجانب السوفييتى والقيادة جميعاً.. وكانت ليبيا في ذلك الوقت ونتيجة للتغير.. الذي حدث في الإستراتيجية نتيجة الثورة الليبية.. وكان لها عامل كبير جداً في ذلك الوقت وبدا يتحدث عن الطيران.. وقال أننى أنهيت مقابلتى مع (جرشكو وزخاروف

وباتسكى) وقائد الطيران ود(جايف) وقد أحاول في هذه الجلسة تقديم الطلبات بأسلوب أخرج (كتشكن) كثيراً.. والطلبات كلها مقبولة في الغالب.. ويقول إن الفريق فوزى كان له أسلوب في عرض الموضوعات.. وفتحنا موضوع الذخيرة واستعجب (برجنيف).. وقال جريتشكو بالروسى وقال مراد غالب إنها شتيمة وتريقة وعشان كده أقول إن القرار سوف يجيئ لصالحنا" .. وهى استنتاجات سياسية للفريق فوزى وهى في بعض الأحيان تكون غريبة.

وهنا برقية أرسلها فوزى لصادق يرجو فيها الأستاذ (سامى شرف) أن يطلع على الخطابات بصفة مستمرة.. وهنا جواب تحدث فيه فوزى عن عدم ظهور خبر نقل البايخ (كتشكن) خاصة بعد أن شرح السيد الرئيس لسكرتير اللجنة المركزية موقفه المخادع في مصر وتقاريره الخاطئة.. وكان (كتشكن) دائماً لديه ملاحظات على التدريب.. وكان يتصور أن عمليات التدريب لا بد أن تتم ليلاً ونهاراً.. ودائماً نحن نضيق من خبراء الخارج وقد تكون خبرة مغرضة.. وعلى أى حال عدنا إلى القاهرة.. وتفصيت موضوع مكاتب الاستعلامات وثبت أن كل ما قلته صحيح.

انتهت زيارة موسكو بعد الجلسة الثانية التى لم حضرها ولم يحضرها (برجنيف) نظرا لحالته الصحية وجاء (كوسيجين) .. وكانت جلسة تقريباً غير رسمية ولم يكن هناك داعٍ لأذهب وعلى أى حال لم يكن حضورى مهما.. لأنها كانت جلسة مخصصة للنواحي العسكرية.. وأنهم سيوردوا على طلباتنا وقد ردوا.. وأظن أنهم ردوا بطريقة كانت مرضية جداً.. فقد استجابوا تقريباً لـ ٨٠٪ من الطلبات.. ووصلت قيمة الصفقة إلى ٦٦٠ مليون روبيل وهذا رقم مهول.

ولما عدنا للقاهرة قابلت الرئيس (عبد الناصر).. وكان ينوى قبول مبادرة (روجرز).. وكان سيلقى كلمة الاحتفال بـ ٢٣ يوليو.. وسيحدث عن قبولنا للمبادرة.. ويعرض أسباب ذلك.

وحاولت مقابلته لمعرفة هل أثاروا موضوع مكتب الاستعلامات مرة أخرى لأننى كنت أعتقد طول الوقت أن الموضوع انتهى.. وأستغرب كيف ذلك.. وكان ما يقلقنا أن دلالاته في الخلل الداخلى الموجود لدينا.. كما أنه كان هناك موضوع إضافي.. وهو ما الذي سيقوله (عبد الناصر) في ٢٣ يوليو لأنه أن يعلن موضوع قبول مبادرة (روجرز) قد يبدو لأول مرة أنه مخالف مع الاتجاه العام للسياسات بمعنى أن كل سياسة لها مواقفها

والمجرى العام التي تندفع فيه.. وهو ما أوقع (السادات) في مشكلة رفضه لمبادرة (روجرز) دون أن يعرف التفاصيل ولا يعرف ما هو الاتجاه وما هي القضية لكن قاس على اتجاه المجرى العام.. ولكن هناك فرقا بين المجرى العام والحركة في المجرى العام لأنه في بعض المرات تأتي رياح أخرى تأخذ تيارا إلى اتجاه يبدو عكسياً لاتجاه المجرى العام.. وهنا قضية كبيرة جداً ستعرض على الرأي العام و(جمال عبد الناصر).

وعندما ذهبت له كنت أود معرفة آخر ما حدث في موسكو ولكي أقول له إنني تأكدت من صحة المعلومات.. التي تحدثت فيها في الكرملين.. ذهبت للرئيس (جمال عبد الناصر) لكنه فاجأني بشيء آخر.

بدأت بالتحدث.. لكني وجدته يقول لي إنه يعاتبني أنه أثناء سفره جاءت لي ورقة تعليمات وعادة لما تأتي تعليمات من مكتب الرئيس يرسلون تعليمات من السيد (سامي شرف) .. من المكتب الرئيسي.. وقالت تعليمات سيادة الرئيس في موسكو إنه يكلف (محمد حسنين هيكل) للسفر لطرابلس لمقابلة الرئيس (القذافي).. ويبلغه رساله من السيد الرئيس.. وأنا لا نريد أى مشاكل معهم بسبب الوحدة.. وقام السيد (محمد حسنين هيكل) بإبلاغ العقيد (القذافي) البرقية الملتقطة وإطلاع باقى مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبية عند عودته للقاهرة.. ويمر على (مصطفى الخروبي) في بنى غازي ليطلع على البرقية.. ويتم هذا قبل وصول البعثة العراقية في طرابلس.

وما حدث أن أجهزة الالتقاط التقطت برقية من وزارة الخارجية العراقية آتية لها من السفارة العراقية لطرابلس.. وتقول السيد رئيس الجمهورية العراقية من قطرى قدورى وزير الاقتصاد العراقى.. يقول: (أعلمنى عمر المحيشى) وكان رائداً وعضواً في مجلس قيادة الثورة" إن اجتماعات (القذافي) و(عبد الناصر) والأتاسى أسفرت عن لجنة لهذه الدول الثلاث تجتمع خلال أسبوعين لبحث صيغة وكيفية إقامة وحدة بين الدول الثلاث.. وطلب منى (عمر المحيشى) إعلام الحكومة العراقية والنظر بتحديد مشروع الوحدة هذا وفهمت أن (عمر المحيشى) ينادى بعرض الموضوع على العراق والجزائر لتحديد موقفهما رسمياً من هذه القضية ولأن (عبد الناصر) و(الأتاسى) أبدوا ممانعتهم لدعوة العراق إلى هذه الوحدة.. إن السودان امتنع عن المشاركة في هذه الوحدة لأسباب داخلية.. وللعلم فقد يكون من التصرف إرسال وفد عراقى لليبيا لعرض موقف العراق رسمياً في هذه الوحدة والسعى للجزائر لاتخاذ موقف مماثل.

وجاءت التعليمات لى أن أسافر لليبيا كوزير إعلام وأقابل (القذافي) كمبعوث خاص.. لكنى اعتذرت.. وقلت إنى لا أعتقد أنها مهمة ضرورية.. وطلبت إبلاغ الرئيس أن رأيى أن هذه المهمة ليست ضرورية وأنا ضد القيام بها.. لأسباب شرحتها ولكنى كنت خائفاً أن يكون الشرح غير مفهوم فكتبت جواباً ل(جمال عبد الناصر) شرحت له فيه أسبابى وطلبت من مكتبه أن يبعثه.

وملخص الجواب أننى تلقيت توجيهكم بشأن الجواب والسفر لليبيا.. وإذا أذنتم لى فإننى أريد أعرض النقاط التالية على أن أناقشها لحين عودتكم من السفر.. وكانت وجهة نظرى أن هناك مسألة مهمة فى علاقتنا لكل الناس خاصة الليبيين فى ذلك الوقت.. وأنا رأى أن أفضلية التعامل عن بعد بمنتهى المودة.. وبمنتهى التعارف لابد أن نكون مهتمين ومن على مسافة بمعنى أنه ليس لنا أن نتصرف بناء على برقية ملتقطة باللاسلكى.. والشىء الآخر أنه يبدو أن ثمة مشكلات بدأت تظهر بين مجلس قيادة الثورة فى ليبيا.. ربما بحكم الطبيعة البشرية.. وأنا لا أريد الدخول فى هذه المشكلات. وقال لى الرئيس: لقد قرأت جوابك وأنا أعتب عليك لأن القاعدة فى الجيش نفذ ثم تظلم.. بينما كنت أرى أنه لا فائدة من التنفيذ ثم التظلم بعد ذلك. وأنا أحكى هذه الواقعة لكى أبين لى أى مدى كان هذا الرجل - على عكس ما يقال - كان مستعداً للنقاش والخلاف معه.. ولم يكن عصيباً كما يقال ويأمر وييطاع ويشير ويهرع كل البشر لتنفيذ إشارته.

وقال (عبد الناصر): أنا أعرف أنك لا تستطيع أن تنفذ وبعدها تتظلم.. لكن هناك قضية أن تبدى كل الحجج.. وتترك لى القرار لكنك قررت أنك لن تسافر.. فقلت له: إنك معك حق ولكن بالنسبة للزمن وجدت أن الثقة المتبادلة دفعتنى لهذا.. ولكن من ناحية المبدأ أعترف بأنك على حق.

وسألنى: هل غيرت رأيك فى الليبيين.. قلت له إطلاقاً ولكن لى رأى فى التعامل معهم.. فقال لى أنه أرسل لى أن هناك مؤتمراً لوزراء الإعلام وقلت لك أن تذهب للمطار تقابل وزير الإعلام الرائد الخولد الحميدى ولم تذهب.. فقلت له إننى اتفقت مع وزراء الإعلام أننا سنحذف من برنامجنا حكاية استقبال المطارات وقلت له إننى حينما قبلت أمرك بأن أكون وزيراً طلبت إعفائى من الحفلات والاستقبالات فى المطارات لأنها مضيعة للوقت ولا لزوم لها.

وقال لى إنه لم يرد مناقشتى حول موضوع حدثى فيه.. وهو موضوع بعثة الشرف المرافقة لـ(القذافى).. وكان (القذافى) سيأتى فى زيارة رسمية للقاهرة.. ووجدت يومها السيد صلاح الشاهد رئيس التشريفات فى الرئاسة يحدثنى أنه أصدر توجيهه بأن "معاليك والهائم" تكونان ضمن بعثة شرف مرافقة لـ(القذافى) والسيدة حرمه وقلت له إن هذه مهمة من المهام التى يمكن أن أقوم بها.

فقال لى إن هناك تعليمات فقلت له سأحدث (عبد الناصر) فقلت له يعنى أنا أقبل بعثة الشرف.. وأنا فى الحقيقة سأجدها بشكل ما بالنسبة لصحفي صعبة.. وقلت له إنك حدثتتى وقتها بعدها بربع ساعة.. وقلت لى إننى لم أرض وتحدث مع حسين الشافعى.. والذي انزعج جداً.. ولما وجدت التصرفات متلاحقة ولم ترد استقبال وزير وبعثة الشرف.. و(القذافى) وموضوع المحيشى.. فقال لى إنه تصور أننى غيرت رأى فقلت له إطلاقاً لكننى أقلق من أسلوب المجاملة الزائدة عن الحد.. وأتصور بمنطق ما أن هؤلاء الشباب الثوار فى ليبيا اكتشفوا أن بلدهم غنية جداً.. وأن العالم العربى كله يجرى نحوهم متصوراً أنه أصبح لها حكومة محصنة.. وأنها وحدها كافية أن تتكلم.. وأن تفرض.. وأن تملى بعض القرارات. وهذا وضع يقلقنى جداً.

وقلت له إننى أرى الصراع العالمى وأرى التسابق نحو ليبيا.. وأظن أننا تحت أى ظرف من الظروف لا بد أن يكون لنا موقف واضح وموقف صريح لأنها بلد مجاورة لنا.. وعلى عمق طبيعى واستراتيجى موجود معنا.. وأن ثورة هذه البلد ومقدراته بدت بدرجة واضحة.. ولا بد أن نعطيها فرصة أن تجرب لكى تكتشف أخطاءها بالخبرة.. أننا لا نستطيع أن نجري نحو الآخرين.. ولا نستطيع أن ندخل فى سياق نحوهم.. وأن التاريخ معنا.. والحقائق الجغرافية معنا.. وعلى هذا الأساس كنت أخاف من هذه الأشياء.. وبعد ذلك زادت المخاوف على العالم العربى فى مواقع الثورة.. وأصبحت مراكز قوة لدرجة أن أول وفد مصرى ذهب فى القدس.. باع الإسرائيليون لنا زجاجات فارغة مختومة على أنها هواء معبأ من الأرض المقدسة.. فقلت لبعض إخواننا إننى أخاف من زيادة الحكمة عندنا.. ومنابعه تنهمر فى كل مكان.. أننا قد نجد مناسباً أن نصدر ونبيع للآخرين حكمة معبأة فى زجاجات مثل زجاجات الهواء المقدس التى باعها الإسرائيليون.

